الناطق الرسمي

خالد مطلك

كان صدام طيلة فترة حكمه الناطق الرسمي والمحلل الإستراتيجي الوحيد باسم ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا،كان يتحدث ونحن نسمع وعندما تبخر العام الماضي خرج من العدم عشرات الناطقين الرسميين أبرزهم السيد انتفاض قنبر الذي ملّ الفضائيات العربية وملته فاختار الـ cnn والـ fox news والـ cnbc وسواها موجها تصريحاته إلى الشعب الامريكي الشقيق تاركا للآخرين من الناطقين الرسميين حرية ان يقضوا نهاراتهم بين الجزيرة والعربية والعالم والمنار والفيحاء وليالييهم بين الـ bbc ومونت كارلو وإذاعة الشرق الأوسط يلوكون الكلمات ويكررون العبارات نفسها يناقض بعضهم البعض في كرنفال من الفوضى لا أول له ولا اخر.
للبيت الأبيض الذي يضم اكبر إدارة في العالم وأخطرها على الإطلاق متحدث رسمي واحد يتغير بحسب الادارة التي تحكم هذا البيت.
ولدينا في العراق لكل شخصية سياسيةاكثر من عشرين ناطقاً رسمياً ومعترفاً به فضائياً،شاهدت بعضهم يحاجج زميله الذي يعمل معه في نفس الاتجاه دون ان يعرف من هو ويتهمه بالعمالة للمحتلين.
المتحدث الرسمي أي الـ spokesman مهنة محترمة وكأي مهنة لها مهاراتها وخبراتها ومعارفها لايمكن اختصارها بالنحنحة أمام الكاميرات وشتم الحكومة العميلة ومن والاها والتهديد بتدمير العراق فوق رؤوس أهله إذا لم يتدخل كوفي عنان لحل ألازمة فورا .

(الوجدان) التجربة

(٣ - ٣)

فائق بطي

البحث عن الذات..
ترك الاخوة الثلاثة بيوتهم واستقروا في دار الوالدة. كانوا يشكون العوز ولا وارد لهم بعد الاعتقال. لم تترك لهم الجريدة المستولى عليها من قبل الحرس القومي مليما واحدا سوى الديون، كما لم يكن لدى زوجاتهم حلي او ذهب كما كان عند الوالدة قبل سنوات ليعتاشوا على اقيامها. كان عدد الساكنين في الدار كبيرا، الاخوة واطفالهم الستة الى جانب الوالدة والشقيقة ايزيس.. يبحثون عن لقمة اضافية في القدر المشترك. تدمع عيناه كلما رافب الاطفال يشيرون باصابعهم طلباً للقمة جديدة. ان الاخوة الكبارعرفوا الجوع في شارع الزهاوي، لكن الاطفال ما ذنبهم؟
تمر الايام مسرعة وهي تطوي حالة اليأس والجوع بعد ان وجد (كمال) عملا بسيطا، لكنه كاف لاشباع بطون اطفاله. توفقت (اديبة) المعلمة المفصولة في ايجاد مدرسة اهلية، ليستطيع (سامي) اشباع طفليه. اما الزوجه (سعاد)، خريجة الكلية، فلا تزال تبحث عن عمل. تعود ظهيرة كل يوم لتخبره بأسى:
- يسألون عن اسم الزوج، ثم يعتذرون.
يسأل سامي:
- وما مصير الاعلانات في الصحف؟
- يكذبونها بكل وقاحة.
- لماذا اذن اطلقوا سراحنا؟
- هذه مسألة اخرى.
فجأة.. يلعلع الرصاص من جديد في سماء بغداد. البيان رقم (١) لم يختلف عن بيان انقلاب شباط الا بترديد شعار (من اجل تصحيح الاخطاء). اسماء قادة الانقلاب لم تكن غريبة عن اذهان الناس. كانت كل تلك الاسماء علامة سوداء في سجل انقلاب ٨ شباط. ان رموز تشرين هي نفسها رموز شباط، رغم ذلك، كان ايمانه بعطاء الوطن يفوق كل الاسماء والاعتبارات. ردد مع نفسه وهو يستمع الى وعود الانقلابيين الجدد: يا ما اخذنا من هذا الوطن الكثير، فلماذا لا نعطيه القليل من استحقاقه علينا؟
انتخب قائد الانقلاب (عبد السلام عارف) رئيسا للجمهورية مرة اخرى. رئيس الوزراء الجديد لم يكن احمد حسن البكر، بل اللواء (طاهر يحيى) الذي شغل منصب رئيس اركان الجيش في انقلاب شباط.
تذكر صديقه وزميله (يوسف عويد) القادم من مدينة (عينكاوة) في شمال العراق، المدينة الصامدة التي رفدت الحركة الوطنية والثورية بافواج من المناضلين الاشداء كان من بينهم الشهيد (عبد الاحد المالح) الذي مات تحت التعذيب في (قصر النهاية)قبل ثلاثة اشهر على يد قادة الانقلاب.
سأل عن (يوسف) فقالوا له انه يمتلك مطبعة صغيرة في منطقة الرواف بالسعدون بالقرب من فندق بغداد. قادته خطاه الى هناك، فوجده كما عهده صامدا عنيدا مثل اولئك الرجال من ابناء الجبل. هب واقفا حين دخل عليه في ادارة المطبعة، وقد عقدت الدهشة لسانه، فعاط فرحا:
- هذا غير معقول، هل انت حي ترزق وقد ظننا ان آلة شباط سحقتك كما سحقت المئات من رفاقنا.
- نعم ما زلت على قيد الحياة.
- متى اطلقوا سراحك؟
- قبل شهرين.
- انا توقفت يومين فقط، فالوساطة تنفع.
- هذا جيد، لقد سلمت من يد اولاد...
نادى يوسف على العامل (جبار حسين) وطلب منه شراء صحن (تشريب) من مطعم رأس الدربونة. اردف يوسف:
- اين كنت طيلة هذه المدة؟
- اشم الهواء.
- ومطبعة الجريدة، ماذا حلّ بها؟
- باعوها بالمزاد العلني.
اغرورقت عينا يوسف وهو يتذكر (البلاد) ومطبعتها الكبيرةالتي دفع اصحابها دما وعرقا في سبيلها، ثم قال:
- وماذا تنوي ان تفعل؟
- ...
- هل تعود الى الصحافة؟
- كلا، لقد خسرت الصحافة جنودها الاوفياء ويريدون لها ان تخسر شرفها. لقد مرغوا رسالتها بالوحل.
- وما البديل لمهنتك؟
- ابحث عن عمل شريف.
- المطبعة امامك.
- ولكن ليس لدي النقود.
- لنبدأ من الصفر، فنحن اصدقاء عمر ورفاق درب..
بكل بساطة، جرى الاتفاق بين الاثنين تماما كما كان اللقاء بسيطا.

***

١٤ تموز ١٩٦٤

اصدر (طاهر يحيى) قرارات تأميم البنوك وبعض الشركات الخاصة في بيان اذاعه من اذاعة وتلفزيون بغداد. هللت الناس واسترخت بعض الفئات، وباركت الاحزاب السياسية تلك الخطوة (الجريئة) وصدرت النشرات السرية وهي تمتدح القرارات الاشتراكية. قالوا ان عبد السلام عارف حقق الاشتراكية في العراق تماما كما حققها جمال عبد الناصر في مصر. لم يبق سوى اتمام الوحدة العربية.
التفت اليه (يوسف) واصابعه لا تزال تعبث بحبات السبحة (الكهرب) في يده وقال:
- ما رأيك بخطوة التأميم؟
افجعته المطالعة، فتململ في مقعده ورد عليه ببرود:
- تأميم بنوك وشركات اهلية؟ هل تسمي التأميم الارتجالي خطوة اشتراكية بينما شركات النفط الاحتكارية تنهب خيرات البلاد؟
رمى يوسف النشرة السرية امامه وقال:
- الم تقرأ رأي الحزب؟
مدد ظهره المتعب الذي يشكو التشنج والألم منذ ان ساطه الانقلابيون في السجن، واسند رأسه إلى جدار الغرفة الصامت. سحب نفسا بصعوبة، ثم اجاب يوسف بكلمات مكبوتة:
ما هذا الكلام. اعداء الاشتراكية يؤممون، وانصارها يسجنون.. اية اشتراكية هذه يا عزيزي؟
راح بعناء يشرح ويحاول ان يقنع (يوسف) بأن النشرة السرية التي في حوزته لا يمكن ان تعبر عن رأي (القاعدة) الحزبية اذ لا يزال رجالات الحركة في السجون والمعتقلات بعد ان اغتال الانقلابيون قادتها، والبعض الآخر الذي سلم من المجزرة منقطع عن تتبع سير الاحداث بسبب انقطاع (الخطوط)الطويلة والعريضة تنظيميا في كل مدينة وقرية. اما (المسؤول الأول) المؤقت، فأنه يتصرف منفردا وكأنه هو وحده الوريث الشرعي لأمجاد وتاريخ الحركة، في وقت كادت فيه ان تغيب (الشرعية) بسبب التشتت الحاصل في بنيان الحركة.
صمت ابو نهاد قليلا ثم قال:
- لا افهم ماذا تريد ان تقول. هل ان الكلام المكتوب في النشرة لا يعبر الا عن سياسة كاتبه؟
- هذا بالضبط ما اريد ان اصل اليه. ان خطا سياسيا ينبع من واقع كسيح لا تقره الافكار العلمية التي تجسد (الخاص) بعد هزيمة كبرى لثورة ١٤ تموز، لا يمكن ان يكون الا خط الاقلية، وهو ينم عن هشاشة وحماقة الناطقين به او الذين يحاولون فرضه كسياسة لحركة عريقة في هذا الظرف بالذات.
قبل ان يسخن الحديث، اطلّ عليهما شاب اسمر، حلو القسمات، يضع نظارة سوداء على عينيه وقد بدا الارتباك على تصرفه، الا انه رغم تنكره، لم يصعب عليهما معرفة الهوية. هجم عليه واحتضنه بقوة بعد غياب دام اكثر من ثلاث سنوات منذ ان اختفى من الجريدة بلا كلمة وداع، وراح يمطره بوابل من الاسئلة عن احوال الرفاق والاصدقاء، فدسّ في يده نشرة صغيرة وقال:
- ستعرف الاحوال من هذه النشرة.
ثم اسرع الخطى الى خارج المطبعة. نادى عليه، فالتفت (فخري كريم) وقال:
- انا مستعجل، سوف امر عليك في مثل هذا الوقت من الاسبوع القادم.
تصفح النشرة المتواضعة فأحس بالحزن وهو يقارن بين ما يقرأه الآن وتلك الادبيات الكبيرة التي سطرت تاريخ النضال الطبقي والوطني للشعب العراقي عبر سنوات طوال، فتألم.
لاحظ يوسف عويد الألم واضحا على وجهه، فبادره بالقول:
- لا تحزن، انها بداية متواضعة.
- انا لست حزينا، انا ناقم يا يوسف.
- لماذا؟
- لأننا عاجزون عن المساهمة في العمل.
- هل نستطيع المساهمة؟
- يجب، اذا اردنا ذلك في المستقبل.
وصدق حدس يوسف. حمل المستقبل القريب، كثيرا من الطلبات والمتطلبات. الرفاق والاصدقاء مبعثرون هنا وهناك. كانت الطعنة البعثية بخنجر امريكي في جسد العملاق العنيد، عميقة الغور. لم يكن من السهل تضميد تلك الجراح، كما لم يكن من السهل تضميد جراح الآخرين، او تعويض اولئك الابطال الشهداء الذين سقطوا في الساحة وهم يدافعون عن المبادىء الخلاقة، وكانت لصمودهم مآثر بطولية لشعب خلاق. ان تاريخ نشوء واضمحلال بعض الحركات السياسية في العديد من الدول لصيق بتطور الاحداث، وبحلول مرحلة في اعقاب مرحلة اخرى تفرضها المعارك الوطنية، فالطبقية وفق قانون تاريخي. الا ان تجربة حزب الطبقة العاملة هي تجربة الحتمية التاريخية تعطيه حق الوجود ثم الصمود فالحياة.
الم يصمد في وجه اعاصير هجمة نوري السعيد عام ١٩٤٩. لابد انه سيصمد بعد١٩٤٨ وحقق انتصارا في قبر معاهدة اختطاف قادته اليوم. ان الطيبين من ابناء الشعب يحتضنونه اليوم وهو يقف على قدميه من جديد..
كانت البداية.. بداية صعبة.
في غضون ايام واسابيع، تحولت ادارة المطبعة الصغيرة الى منتدى وطني يؤمه العشرات من الاصدقاء. اصبحت الادارة وكرا سريا١٩٥٧.
اكثر من كونها (قهوة) علنية، حيث يلتقي فيها المع واكرم الوجوه الثقافية والسياسية. كان يتسلل اليها في الظهيرة اللاهبة، وحين تغفو عيون الرقباء، اكثر من شخص في آن واحد. اسماء معروفة في سجل الحركة الثورية قبل وبعد انتكاسة شباط الاسود. وبين السياسة وعشاقها، يطل الادب الملتزم برموزه المخلصين، حسين مردان، علي الشوك، رشدي العامل، حميد رشيد، عبد المجيد الونداوي، خالد الحلي، يوسف متي.. كان بعضهم يبحث عن البديل، والبعض يطالب بالعمل الحاسم، بينما القليل منهم، يتمرد ويقتسم خارطة الموقف السياسي ملتزما ومتزمتا. كان احدهم يلوح (بالأسس) ويضع اصبعه على منطقة كردستان، وقد مزقتها الخلافات بين فصائل الثورة الكردية المسلحة ويقول:
- من هنا يجب ان تنطلق المدافع.
يسأل:
- من يطلق المدفع؟
يتبرع (فخري كريم) ويقول بحماسته المعهودة:
- القوى صاحبة المصلحة في الثورة من شيوعيين وديمقراطيين وقوميين شرفاء، عربا وكردا واقليات قومية.
قهقه احد المستطرقين الخبثاء وهو يردد مع نفسه ترنيمة الخذلان:
- كانت فرصة وطارت، يوم كان الحزب يقود الشارع من زاخو حتى الفاو.
- لا يزال وسيبقى، وهذه هي مسيرته التاريخية.
جلس بعد سماعه هذا الحوار، يفكر. راح يقلب اوراق التاريخ القريب التي لم يجف حبرها بعد، لعله يوفق في الوصول الى حل ينشده ويرضي به الجميع. كانت بعض رؤوس الاقلام السياسية تداعب افكاره وتضغط بشدة عليه كي ينطق بطروحات حل المسألة الوطنية، لكنه آثر ان يسجل الافكار على الورق أمانة للتاريخ:
لابد من أن تكون الرجعية المحلية ضعيفة الآن وهي في قمة المسؤولية.
انها رجعية تمثل فئة صغيرة متذبذبة ومتفككة اجتماعيا وطبقيا..
الحركة الوطنية تستطيع في خضم هذه الظروف ان تنمو وتزدهر اكثر من اية مرحلة اخرى.
البورجوازية الوطنية سرعان ما تخون الثورة الوطنية الديمقراطية.
التاريخ يعلمنا ان هذه البورجوازية سرعان ما تحوّل سلاحها ضد الطبقة الكادحة.
انها تدافع عن مصالحها، دون ان تدري انها تفتح الطريق امام القوى الرجعية رحبا.
الرجعية المرتبطة بالامبريالية تقودها مصالحها المشتركة الى الوثوب للسلطة من جديد.
الانظمة الرجعية توفر في اسوأ الحالات فسطا ضئيلا من الحريات لديمومة حكمها.
انها اضعف في تلك المرحلة من ان تسلك طريق الارهاب الدموي ضد معارضيها.
يجب على القوى الوطنية ان تستفيد من الوضع السياسي المائع.
عليها ان تعد العدة لعمل ثوري حاسم.
وضع في الحسبان لتلك الطروحات ، المعادلات التالية:
ابان الحكم الملكي الممتد قرابة ٣٧ عاما، قام الشعب بثورة العشرين وبانتفاضات الفلاحين واضرابات عمالية ناجحة كان اوسعها واعمقها اضراب كاورباغي عام ١٩٤٦.
كما قام الشعب بوثبة كانون المجيدة عام ١٩٤٨ وحقق انتصارا في قبر معاهدة بورتسموث في مهدها. وفرض بانتفاضته في تشرين عام ١٩٥٢ قانون الانتخاب المباشر واقالة وزارة العمري. كما مرّر بانتفاضة الحي عام ١٩٥٦ تمرينا حيا قي شد الجماهير الى العمل الثوري وتعميق ازمة النظام المتهرىء واقام جبهة الاتحاد الوطني في ربيع ١٩٥٧.
كانت تلك الانتصارات من صنع هذا الشعب التواق للحرية والديمقراطية والحياة الكريمة.
اثناء سنوات ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ الوطنية الديمقراطية والممتدة قرابة اربع سنوات ونصف، انهى الشعب الثائر مع قواته الوطنية المسلحة النظام الملكي وشيد صرح نظام جمهوري معاد للأستعمار، وقضى على حلف بغداد العسكري العدواني، واخرج البلاد من منطقة النفوذ الاستريليني. كما اصدر قانون الاصلاح الزراعي باعتباره ثورة زراعية ملازمة تستند اليها الثورة الوطنية الديمقراطية لانهاء المجتمع شبه الاقطاعي. وضربت الثورة الاحتكار النفطي الجشع بتشريع القانون رقم ٨٠ للأستثمار الوطني، وارست بذلك لبنات الصناعة الوطنية بالتعاون والتنسيق الاقتصادي والفني مع الاتحاد السوفييتي كخطوة ضرورية لبناء قاعدة اساسية للصناعة الوطنية. وبفضل نضال هذا الشعب، تحقق مبدأ التعايش السلمي والحياد الايجابي ووطد صداقته مع المعسكر الاشتراكي، وقام بتسليح الجيش الوطني، ومد يده باخلاص الى اشقائه في الدول العربية من اجل دفع عجلة حركة التحرر الوطني العربية الى امام لكنس بقايا الانظمة الرجعية في المنطقة.
ثم جاءت ردة شباط ١٩٦٣.. فخسر فيها الشعب خلال تسعة اشهر فقط الكثير من مكاسبه وانجازاته: الحريات العامة، النقابات العمالية والمهنية، الجمعيات الفلاحية والتعاونية، تجميد قانون الاصلاح الزراعي، اغتيال القانون رقم ٨٠، ضرب ومحاولة تصفية الاحزاب الوطنية والثورية، فتح السجون والمعتقلات لاكثر من ١٢٠ الف مواطن، فرض نظام ارهابي بوليسي ضد طبقات الشعب الوطنية الاجتماعية والتنكيل البشع باعداء الاستعمار بحيث لم تعرف الشعوب مثيلا له الا في ظل الفاشية والهتلرية، كما اعترف بتلك الحقيقة بعض قادة الانقلاب فيما بعد.
اما في عهد (العارفين) عبد السلام وعبد الرحمن، فقد سيطرت العناصر الانتهازية والوصولية على مقاليد الحكم بعد محاولة تصفية آثار انقلاب شباط سيء الصيت وتبرئة ذمة من اشترك منهم في ذلك الانقلاب الاسود، كعبد السلام نفسه وطاهر يحيي ورشيد مصلح (اعدم على يد البعث بعد ١٩٦٨ بتهمة عمالته للمخابرات المركزية الامريكية!) وسعدون غيدان وسعيد صليبي وغيرهم. وحاول المسؤولون في العهدين ردم المستنقعات النتنة التي اوجدتها العناصر المعادية للشعب، لتسبح فيها وتعشش عناصر طفيلية جديدة.. ان عجلة التطور تدور بسرعة.. لقد خسر شعب تموز الكثير، وعليه ان يحافظ على ما تبقى من مكاسب، بل عليه ان يدعم نضال القوى الوطنية بقوة اكبر في ظل حكم مرحلي لم تتضح هويته الطبقية كما كان مخططا له. وبالتالي، كنسه واعادة مسيرة تموز على الطريق الصحيح.
ان خط آب السيء.. أخر مسيرة الحزب بعد قبره.

إبن العالم

عواد ناصر

(...كالغريب الذي يعرف ما فيهم ولا يعرفون ما فيه)
أبو حيان

أسميكِ باسمكِ كي أتأكد من إنني أنطقُ
الأبجديةَ كاملةً باللغاتِ جميعا،
وباللهجة الدارجة
لأعرف أني على قيد هذا الخراب
وأنك عاصمتي بين حرب العدو وحرب الشقيق
فربتما أتحلّم مثل بقية من يحلمون بعاصمةٍ
ما يعودون منها ويرتحلون إليها،
أسميك علي أخلص وجهي من سحنة الشبهات
وأنقذ كفي من الخوف
إن الغريبَ يخاف كثيرا
وذلك سر شجاعته الفائقةْ
-
-
أسميك أمّي
وأطلب عَفوكْ
لأني اختلفت ولم أستجب لفراغ الأواني،
ثم اعذريني لأني أنجبتك،
وأرجوك أرجوك أن تبرئيني جمادا
لكيما أكف عن الإختلاف..
أنا في ثبات التماثيل وحدي الذي يختلفْ
-
-
أنانية من غرام سحيق أنا،
وأضحك حزنا على عرس أيامنا، فاسمعينا رنين
العظام ولي نثار يدينا..قليلا قليلا تعالي إلينا
وردّي الغطاء علينا لأنّا ابتُلينا.. اهجرينا
لنعرف إنّا، كما ديدن العاشقين،
إذا ما قسونا علينا فإنهم يهجرونا...
وكوني لنا قمراً يتمشى على شرفات النعاسِ
فليس سوانا حزينا...
-
-
اسميّك بنت الذين ينامون نوماً عنيداً
عناد المَصابيح في طرق خالية
اسميك بنت العراة الشياطين لم يرتدوا غير
أجمل ما عندهم: جلدة زاهية
أسميك شارعنا يبتدي من حطام الى حائط
للغرام ومن مخبأ للطغاة الى علن الأمهات ومن
طائرات الغزاة الى قلق يستبد بسيقان ذاك
السرير الصغير ومن ضحك يتفجر فولاذه في
الصحون وبين العيون...
أسميك أختي تسوي عباءتها ثم تضرب كفاً
بكف وتشهر وحشتها بوجوه رجال منظمة
الإحتفال..
أسميك درباً مللناه كل صباح الى المدرسةْ
وثوباً وحيداً توسده الطفل ليلة عيد
وبيتاً وحيداً وحيداً تصاعد منه دخانُ الرغيفِ
الوحيد
وجاراً تكاءب كل صباح لأن الصباح قرينُ العملْ
وحيث مساء البناتِ بلا قبلٍ ترتجل
-
-
تناءيت خلف احتمالات أي احتمال محال
ونحن وحيدون نعبر قنطرة في غروب الحقولْ..
-
-

أسميّك علّي أحصي حماقات قلبي البسيط
لعلّي أقنع جرحي بأن الضماد خيار تولّد منَ
فكرةٍ يائسة
-
-
أسميّك بسمك، حسبُ، لأنهضَ عند سقوط
الجميعَ على جثتي
بحجة أن يمنعوني من الموت حتى اختنقتُ
أنا لست عنقاء- يا أصدقائي الميامين- إني
احترقت فقط...
-
-
نشيدي تكسّر في شفة الناي
وعاصمتي أرملة
تشهد المقتلة
وما كان قتلاً جميلاً فما من قتيلٍ جميلٍ وأنتم
تقولون: ما أجمله،
-
-
المراعي انتشت ببكاء الشياهْ
(وأنا عطش سافرٌ في خيال المياهْ..)
-
-
أسميّك حتى اندحار الغيوم لتطلعَ شمسكْ
أسميكَ حتى يتحركَ عظمك جدا لفرطِ
الندم
فينشقُّ رمسُك
حتى تشوفين إبنك كيف ينوءُ وحيداً
بهذا الوجود-الثقيلِ
الوجود- البلاءِ
الوجودِ- العدم...

لأهمية كتاب فائق بطي (الوجدان) الذي بث فيه سيرته الذاتية عبر نصف قرن من تاريخ العراق الحديث، آثرت (المدى) الثقافي أن تنشر بين وقت وآخر حلقات من هذا الكتاب الذي سيصدر عن دار (المدى) بدمشق قريباً لما يلقيه الكتاب من ضوء على مفصل مهم من نشوء الصحافة العراقية، وتطورها وأثرها في المعترك السياسي، واثر التحول من النظام الملكي إلى الجمهوري وما رافقها من أحداث وانقلابات. والكتاب من زاوية أخرى يكشف أسرارا وحلقات مؤثرة من تاريخ العراق السياسي والثقافي.
(المدى الثقافي)